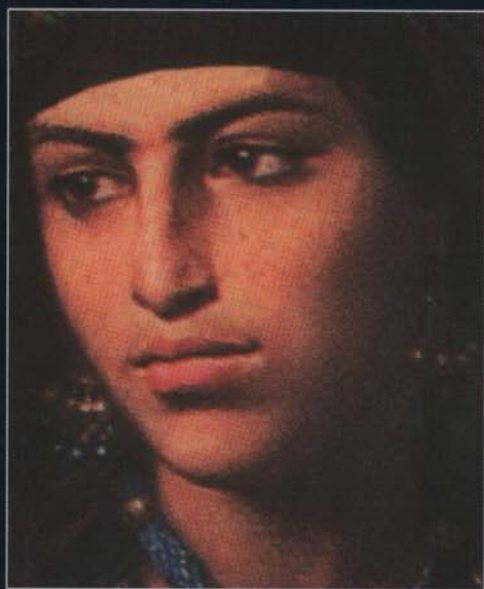


# فاطمة المرئسي

شهرزاد اللمس المغربي



ترجمة: ماري طوق

نشر  
المنك



المركز الثقافي العربي



## شهرزاد ليست مغربية

التغيير بالمعرفة والإغواء بالكلمة

حسب الله يحيى

تحظي الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي بحضور متميز في المشرق العربي، أكثر من حضورها في المغرب العربي الذي تنتمي اليه. وقراءة كتب المرنيسي بالعربية مترجمة عن الفرنسية، تثير جدلا في الاوساط الثقافية نظرا لما تحمله من اراء جرئية وتطلعات تتجاوز المالوف ونظرتة الي المرأة والموروث. وفي كتاب لها بعنوان: (شهرزاد ليست مغربية) تنافس المرنيسي حاضرة المرأة العربية عموما، والمغربية خصوصا.. لتصل بعدئذ الي جملة تطلعات ورؤي جديدة. وبدءاً تضع المرنيسي امامنا جملة حقائق منها: (ان الشعب القوي هو من تتقف وتدريب على وفق التكنولوجيا المتطورة، وليس ذلك الجالس فوق اطنان من الاسلحة واضعا اصبعه علي الزناد، ايا تكن الضحية المستهدفة سواء الداخل والخارج). وكنا عبر كل الازمنة ندرك ونعترف بهذه الحقيقة، الا اننا لم نترجمها الي حقيقة فاعلة تؤسس لحياة سلمية فاعلة، بل بقينا نستورد التكنولوجيا والاسلحة على حد سواء، بل ساهمنا بقدر من انتاج الاسلحة او تفضيل استيرادها على قضايا مهمة واساسية في حياتنا..

## المعرفة بالسلطة

وترى المرنيسي (ان المربي الاساسي للمعرفة التكنولوجية الحديثة هو المرأة بوصفها اما تزود الطفل في السنوات الخمس الاولى المعرفة التي تمتلكها ولكن.. اذا ما عرفنا ان المرأة نفسها، تعاني من جهل مطبق في ابسط امور الحياة ادركنا عندئذ حجم وفداحة الخسارة التي يدفعها المرء وهو يعيش متغيرات العصر السريعة في وقت لا يعرف فيه بديهية الاشياء! وتسوغ الباحثة هذا التخلف الذي تعاني منه المرأة في المجتمع العربي بانه: "نتيجة اقضاء النساء من دائرة تحصيل المعرفة".

وهذا الاقضاء صحيح.. غير ان عدم استعداد المرأة في أحيان كثيرة لتطوير معارفها لايلقى قبولا ولايجد حماسة لديها.. ولعل انشغالها بالتفكير في الزواج وبناء اسرة.. يلقي اهمية عندها اكثر من أي أمر آخر. لقد تشبعت المرأة العربية بثقافة الامومة والمنزل، اكثر من اية ثقافة اخرى، ووجدت نفسها راضية عن هذا الدور لمجمل حياتها اكثر من أي دور اخر.

وتوضيح المرنيسي ان شهرزاد الاسيوية.. "لاعلاقة لها بشهرزاد المغرب، استعملها كرمز ليس الا".

وتنقل لنا نادرة عن المسعودي (توفي في 956 م) وردت في كتابه (مروج الذهب) وقد جاء فيها:  
(ان رجلا من العامة.. رفع الي بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جار له انه يتزندق، فسأله  
الوالي عن مذهب الرجل فقال: انه مرجي، قدري، ناصبي، رافضي فلما قص عن ذلك قال: انه ييغض  
معاوية بن العاص، فقال له الوالي: ما ادري علي أي شي احسدك: على علمك بالمقالات او على بصرك  
بالنساب).

الكاتبة تنقل هذه النادرة للدلالة علي جهالة تطبع العديد من مجتمعاتنا التي تعدد للتشهير بالآخرين دون  
علم ولا بصيرة.. وانما هو حال ثقافة سلبية تعم حياتنا على مدى اكثر من عشرة قرون خلت... ومازالت  
تجد خطوتها في حياتنا الراهنة دون ان تجد من يصدها ويرفضها ويحاسب فاعليها!  
وتقرن الباحثة (المعرفة بالسلطة) في وقت يمكن بينهما.. صحيح ان (شهرزاد تنمي في داخلها ثقافة  
تحقق ذاتها، وممارسة مهنة تسمح لها بتوظيف ثقافتها في خدمة الجماعة والشعب) لكن هذا لايعني  
بالضرورة اعتماد الوظيفة/ السلطة لغرض كسب المعرفة. المعرفة... حاجة الانسان لمعرفة ذاته وذوات  
الآخرين، وادراك بطبيعة عصره وما يعيشه من متغيرات دائمة.. وعن طريق هذه المعرفة يتقدم.  
وعندما اختارت شهرزاد بنفسها مصيرها مع شهريار، كانت تلعب دورا بطوليا فدائيا والفداء كما جاء  
في لسان العرب (فكاك الاسير)، (كيف السبيل لكي يحبها رجل ناقم، مجروح ومهوس بالانتقام)؟  
كانت "الكلمة: سلاح اخير، وكل (ماكانت تامله هو ان يسمع، فالجبابة لايتحاورون مع الضعفاء.  
لايتحاورون الا مع امثالهم).

كانت شهرزاد تدرك ان شهريار (اسير تعسفه) ولايشغله قتل البراءة فالكل عنده خطأ.. لذلك فكرت  
بدراسة... (سايكولوجية الجلاد).  
شهرزاد بدأت بقصة التاجر الذي اكل تمرة ورمى نواتها فسقطت علي قلب طفل وقتلته، التاجر اصبح  
مجرما دون قصد منه.. شهريار تنبه وصار يسأل شهرزاد عن الحل.  
العقدة حلت منذ ان بدأ شهريار بالسؤال.  
كان اتقان الكلام منطلقا... و(كمن يحبك عقدا من اللؤلؤ) وكانت شهرزاد تستثمر معرفتها وتتنقن ايصالها  
بسردي شيق.. وهذه هي نباحة الخلاص.

### تعليم البنات يهدد السلطة الابوية

من هنا كانت قصة شهرزاد: (تطرح مسألة المعرفة كسلاح للاستمرار).  
وهذا النموذج نفسه، يمكن اتخاذه وسيلة (لاغواء كان سئم من الحياة فاستعاد لذتها).  
نضرب المرنيسي مثلا اخر مقرونا بشخصية هارون الرشيد والجارية (عريب). الشاعر والمغنية

والجميلة التي فتنت الرشيد ومن ثم ابنه: الامين والمامون وكان قد انجبها نديم الرشيد ووزيرة البرمكي من امه تدعي فاطمة ودفعها الى نصرانية تولت بيعها بعدئذ ل احد الاسياد.

ثقافة المرأة.. جواب مفتون، ومفتاح اقبال، وابواب مشرعة الي حياة رغيدة على العكس من اولئك الظالميين الذين يعتقدون ان (من يعلم امرأة كمن يسقي افعى سما)، بمعنى يزيد من ضررها وسلبياتها علي المجتمع!

وفي المغرب (مانع الاباء المسلمون في البداية تعليم البنات لان ذلك يعني تفكك المكان وهو عمود الهندسة الجنسية الاسلامية وان: (تحرير المرأة في المغرب فكرة مستوردة واستعمارية وفرنسية) في حين (كان الفرنسيون يدركون جيدا الخطر المزدوج الذي تمثله توعية المرأة بالنسبة لسلطتهم) وكلما المت ازمة اقتصادية يقال: (لو تعود النساء الي البيوت، عندئذ تتوفر وظائف اكثر للرجال).

وتنقل لنا المرنيسي تجربة اليابان بعد الحرب العالية الثانية وكيف اصبح (سر تفوقهم ياتي من الذل والهزيمة) في حين يري نوتاهارا/ المفكر الياباني (ان العرب لا يستخلصون الصبر من هزائمهم. لقد جعلت منا امريكا بلد متسولين عام 1945، لكننا اتخذنا القرار بان نفهم لنبي: واصبحت النساء اليابانيات - تقول المرنيسي: (من اكثر النساء ثقافة في العالم ومهامهن متعددة، اذ لا يقتصر اهتمامهن فقط على الاولاد وتنظيف البيت انما يساهمن من بيوتهن في صناعات مثل النسيج والالكترونات ويعملن خارج المنزل تبعا لمستواهن المنزلي).

كما ان الطفل الياباني في الرابعة: يملك 80% من قدرة عقل الانسان الناضج كما ان هاجس ابوي الطفل هو: (ان يجعلوا منه لاعب ارقام وعمليات حسابية). (الرسوب ممنوع في الابتدائي والثانوي.. فهذه السنوات اجبارية). والياباني (يمشي وكان العالم كله مرتبط بجديته بخطواته المدروسة وبتركيزه) في حين اليابانيين (منصرفين للتأمل في حدائقهم).

المرنيسي/ تسعى جاهدة الى الدعوة لمزيد من المعرفة والعمل للمجتمع كله من الرجال والنساء والاطفال منطلقا من مجتمعها المغربي لتعممه علي المجتمع العربي كله. جهد نابه، وروية حية ومنطلق سليم تسعى اليه المرنيسي في رواها وافكارها النيرة وهي تتوجه لبناء مجتمع معرفي منشود.